

كشف المساوي عن حكم مخذر البداوي

Al-Masawi revealed the ruling of Mukhdar Al-Badawi

زهير قزان^{1*}، أ.د. زقور احسن²¹ كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران 1، zohir30@gmail.com² كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران 1، zekkourahcene@yahoo.sr

تاريخ النشر: 2025/05/15

تاريخ القبول: 2024/11/07

تاريخ الاستلام: 2024/07/04

ملخص:

عرفت منطقة توات الجزائرية نظام الوقف في غالب تصرفات أهلها فكان مرتبا وممنهجا بحيث يضمن استقرار الحياة واستمرار العطاء، وهذا النظام تكلم عليه فقهاء المسلمين في مصنفاتهم وأفردوا له بابا خاصا به لتشعب مسائله وكثرة قضاياها ووفرة ضوابطه غير أن الفقه على وجه الحقيقة ما لامس الواقع فإن للتنزيل أحكاما تخصه إذ تلاحظ الظروف والملابسات والمآلات مما يجعل الفقهاء يختلفون في تكييف النازلة ومن ذلك نازلة أولاد الفقيه التلوليني حيث اختلف القاضي الطالب محمد بن عبد الله البداوي مع القاضي محمد بن أحمد الحبيب البلبالي في تنزيل واقعة من حبس على أولاده الثلاثة على أن من مات ولا عقب له فلاخويه ثم مات اثنان أحدهما له عقب والأخر ليس له عقب فاستبد الثالث بنصيب الذي ليس له عقب وترافعا القاضيان إلى فقهاء الأمصار وتناظر الفريقان مناظرات علمية فقهية أثرت الحياة العلمية في منطقة توات كان من نتائجها هذا المخطوط الذي نسعى لإخراجه.

الكلمات المفتاحية: المخطوط، البلبالي، تحقيق، الحبس، توات، الحبس.

Abstract:

earafat mintaqat tuat aljazayiriat nizam alwaqf fi ghalib tasarufat 'ahliha fakan murataban wamumanhajan bihayth yadman aistiqrar alhayaat waistimrar aleata'i, wahadha alnizam takalam ealayh fuqaha' almuslimin fi musanafatihim wa'afrauu lah baban khasana bih litushaeib masayilih wakathrat qadayah wawaftrat dawabitih ghayr 'ana alfiqh ealaa wajh alhaqiqat ma lamas alwaqie fa'iina liltanzil 'ahkaman takhususuh 'iidh tulahiz alzuruf walmulabasat walmalat mimaa yajeal alfuqaha' yakhtalifun fi takyif

alnaazilat wamin dhalik nazilat 'awlad alfaqih altalawlinii hayth aikhtalaf alqadi altaalib muhamad bin eabd allah albidaawi mae alqadi mahmd bin 'ahmad alhabib albalibali fi tanzil waqieat min habas ealaa 'awladih althalathat ealaa 'ana min mat wala eqib lah fali'akhawayh thuma mat aithnan 'ahaduhuma lah eqib wal'ukhar lays lah eqib faistabada althaalith binasib aladhi lays lah eqib watarafuean alqadian 'iilaa fuqaha' al'amsar watanazur alfariqan munazarat eilmian fiqhiatan 'atharat alhayaat aleilmia fi mintaqat tawaat kan min nitajiha hadha almakhtut aladhi naseaa li'ikhrajihi.

Keywords: almakhtuti, albalbali, tahqiqi, alhabsa, tawat, almahbasi

*زهير قران

المقدمة

يعتبر نظام الوقف من أعظم الأنظمة التي عرفتها البشرية لضمان الجانب الاقتصادي من أجل استمرار الحياة على نسق يضمن للموقوف عليهم كرامة الإنسان وللمؤسسات ديمومة العطاء والإنتاج، فاعتنى الفقهاء بضبط مسائله وقضاياها، ومن أهم تلك الضوابط أن نص الحبس كنص الشارع، فصار لزما تحرير بعض المصطلحات التي لا تخلوا منها وثائق التحبيس عادة كالوقف على العقب والولد والأبناء وغيرها من الألفاظ التي بينت التجربة الواقعية أن فيها إشكالات كبيرة طالما أدت إلى الخصومات والنزاعات بين الأولاد والأحفاد والأعمام ونحو ذلك.

وقد وقعت إحدى تلك الإشكالات في إقليم توات ما أدى إلى الاختلاف بين العلماء وترافع فقهاء المنطقة إلى علماء فاس وسجلماسة وودان وأروان ثم انتهى الأمر بالفصل في النزاع بما قضى به الشيخ محمد بن أحمد الحبيب البلبالي، فجاء ولده وسجل خلاصة كلام العلماء في رسالة نفيسة ورد شبه الفريق المقابل.

فهل استوفى هذا المخطوط الإجابة عن إشكالية لفظ الوقف التي أثرت في توات في تلك الفترة؟ وما مدى الاستفادة من هذا المخطوط في المجالات الأخرى؟ فإنه يفترض أن الكتاب وثيقة تاريخية وصحيفة اجتماعية ورسالة فقهية حري بالعلماء والباحثين الاطلاع عليها والاستفادة منها.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

نسبه ومولده

الشيخ القاضي مُحمَّد - ضمه- بن الشيخ القاضي مُحمَّد - فتحه- بن الشيخ القاضي أحمد الحبيب بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن أبي زيد بن بلقاسم البلبالي الأنصاري.
ولد الشيخ بقرية كوسام سنة 1277هـ في أسرة علمية تسلسل فيها العلم والقضاء والولاية والصلاح منذ جدهم سيدي بلقاسم الأنصاري أول داخل من هذه العائلة إلى منطقة توات بل وقبل ذلك في مضاربهم الأولى(1).
دراسته شيوخه

لقد كان من سعد السعود على مترجماً أن ولد في بيت العلم آنذاك ومقصد الطلاب في البلاد التواتية وجميع النواحي الصحراوية في بلدة كوسام التي كانت بها أشهر مدرسة في ذلك الزمان ويقصدها الطلاب من جميع النواحي والأقطار مدرسة العلامة الشيخ عبد الله البلبالي وبجواره مجلس القاضي سيدي مُحمَّد - فتحه- البلبالي فشيخه:

أولاً: والده العلامة القاضي العدل المدرس المفتي سيدي محمد - فتحه - بن الشيخ سيدي أحمد الحبيب البلبالي(2) ولد سنة 1248هـ في بيت علم فأخذ عن والده مقصد الطلاب في ذاك الزمان والتزم مجالسه في سائر العلوم والفنون إلى أن أجازته إجازة مطلقة تخرج عليه عدد من الطلاب منهم ابنه سيدي محمد وابن أخيه سيدي عبد الرحمن وغيرهم توفي سنة 1319هـ، له مراسلات علمية بينه وبين علماء المنطقة في قضايا دارت بها ونوازل حيرت الفقهاء.

ثانياً: الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي(3) وهو عمه وصنو أبيه العلامة الفقيه المدرس شيخ الشيوخ، سنة 1250هـ، نشأ في كنف والده والتزم مجالسه في جميع العلوم والفنون حتى افتعم صدره بالعلوم وأجازته إجازة مطلقة، فارتحل إلى قصر كوسام سنة 1278هـ، وأنشأ بها مدرسة صارت وريثة مدرسة ملوكة فقد صارت مقصد الطلاب من كل النواحي، وتخرج بها عدد كبير من الأعلام منهم ولده الشيخ محمد عبد الرحمن والشيخ سيدي أحمد ديدي وابنه القاضي سالم وغيرهم كثير توفي سنة 1329هـ، وله فتاوى مبعثرة في الأوراق ومراسلات مع فقهاء وقضاة المنطقة والمناطق المجاورة.

توليه القضاء

(1): مبدوي محمد فتحه بن محمد سنة 2021 ص 372.

(2) : مبدوي محمد فتحه بن محمد سنة 2021 ص 343.

(3) : الصديق حاج أحمد سنة 2003 ص 93.

لما افتعم صدر الشيخ بالعلوم والمعارف تاهل لتولي خطة القضاء خلفا لوالده وذلك إبان الاسعمار الغاشم من سنة 1329هـ إلى سنة 1354هـ كان خلال فترة توليه القضاء حاكما عدل عالما بالأحكام لا يقبل الزيف ولا الركون لأي كان، وبذلك انتشر صيته وذاع خبره وشد السير نحوه كل من شعر بالظلم والاهانة حتى أصبح من دُعي لمجلسه وهو يعلم أنه لا حق له في القضية لا يتجرأ على المثور بين يديه ويفضل أن يتنازل ويتصالح مع صاحبه(4).

ثناء الناس عليه

انتشر صيت مترجمنا وأثنى عليه كل من عرفه وكان أشهر من تكلم عنه العلامة الفقيه الأديب سيدي البكري بن عبد الرحمن التتيلاني فقال(5):

سلام على الجهد الأرضي المنتقى * من شباب العصر الأذلى العبقري

الفقيه الأملعي اللوذعي * النبيه الأحوزي الشجري

الوجيه العبهل الأزكى الذي * كان ظني فيه طيبا عنبري

ذاك علامتنا العليم من * اسمه الأسمى محمد حيدري

وكتب فيه قصائد أخرى بعضها في مدحه وبعضها في مراسلات علمية جرت بينهما افتتحها بذكر فضله وفضائله.

وفاته وآثاره

بعد عمر حافل بالعطاء والتدريس والقضاء وحل مشاكل المجتمع انتقل مترجمنا إلى رحمة الله يوم السبت العاشر من شهر الله رمضان المعظم سنة 1354هـ، بكوسام وقبره هناك مشهور مع والده في الإحاطة الخاصة بهما داخل مقبرتهم(6).

وقد خلف قصائد كثيرة لو جمعت لكانت ديوانا في مختلف أغراض الشعر مدح وثناء وإجابات ومقطوعات وتوسل ودعاء وابتهاال وغيرها، كما له مراسلات مع علماء عصره من أهل المنطقة بما فتاوى ومناقشات(7).

المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط

(4) : أحمد بن محمد بن حسان سنة 2010 ص 132.

(5) : المصدر نفسه ص 394 وما بعدها

(6) : الصديق الحاج أحمد سنة 2003 ص 95.

(7) : مبدوي محمد فتح بن محمد سنة 2021 ص 375 وما بعدها.

أهمية المخطوط

يتميز المخطوط الذي بين أيدينا بعدة أمور تؤهله للنشر نذكر أهم تلك المميزات، أولاً: المخطوط وثيقة تاريخية بحق فهو يبين السلطة القضائية العليا التي يرجع إلى تنازع القضاة، كما يبين مناطق التواصل المعرفي بين علماء توات والأقاليم الأخرى.

ثانياً: المخطوط منجم للنصوص الفقهية وكيفية إنزالها على الواقع من خلال النازلة.

ثالثاً: يحتوي المخطوط على قسم خاص بالرد على الخصم يؤصل لتطبيق الجدل الفقهي عند المتأخرين.

عنوان المخطوط

لقد صرح المؤلف بعنوان المخطوط في مقدمته فقال ما نصه: سميته كشف النقاب والمساوي على مخدر حكم البداوي والله تعالى أسأل التوفيق والإرشاد.

نسبة المخطوط لصاحبه

اعتمدت في نسبة المخطوط إلى صاحبه بناء على أن النسخة التي بين أيدينا بخطه رحمه الله وقد صرح بذكر اسمه في مبتدئها فقال يقول كاتبه عبيد ربه محمد بن محمد بن أحمد الحبيب البلبالي ستر الله عيوبه الرب المتعالي اه، في الختام قال ما نصه: وكتب وكتب مستغفراً من ذنبه مستشفعاً من كسبه أواخر ذي الحجة الحرام عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف عبيد ربه محمد بن محمد بن أحمد الحبيب البلبالي لطف الله به.

وصف المخطوط

تحصلت على نسخة واحدة بخط المصنف نفسه لأنها كانت رسالة موجهة لأهل تيلولين، وقد وجدت النسخة في خزانة الأنصار بأنزجير :

العنوان: كشف النقاب والمساوي على مخدر حكم البداوي

المؤلف: محمد - ضما - بن محمد - فتحا - بن أحمد الحبيب البلبالي

عدد الأوراق: 4 ورقات

المسطرة: 20 سطر

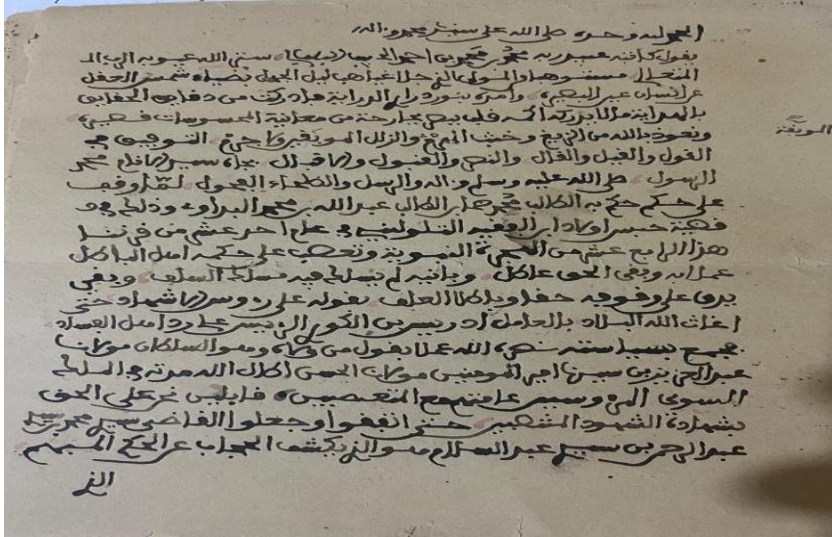
أول المخطوط: الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله يقول كاتبه عبيد ربه محمد بن

محمد بن أحمد الحبيب البلبالي

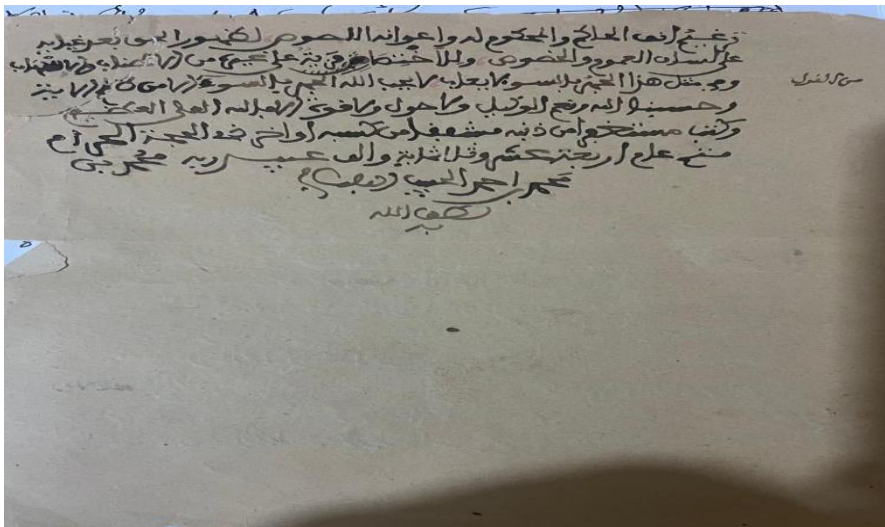
آخر المخطوط: وكتب مستغفرا من ذنبه مستشفعا من كسبه أواخر ذي الحجة الحرام عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف عبيد ربه محمد بن محمد بن أحمد الحبيب البلبالي لطف الله به.

الناسخ: المؤلف

صورة المخطوط



الورقة الأولى



الورقة الأخيرة

النص المحقق

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يقول كاتبه عبيد ربه مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد الحبيب البلبالي ستر الله عيوبه الرب المتعالي، مستوهبا من المولى الذي جلا غياهب ليل الجهل بضياء شمس العقل عن إنسان عين البصيرة، وأمدّه بنور دراري الدراية فأدرّكت من دقائق الحقائق بالهداية ما لا يدركه أكمه قلب يبصر بجراحة من معانية المحسوسات قصيرة، ونعوذ بالله من الزيغ وخبث الهرم والزلل الموبقين ولا جرم، التوفيق في القول والقليل والقال، والنصر والقبول والإقبال، بجاه سيد الأنام محمد الرسول، **p** وآله والرسل والصلحاء الفحول.

لما وقف على حُكْمٍ حَكَمَ به الطالب محمد . ضما . بن الطالب عبد الله بن محمد البداوي وذلك في قضية حبس أولاد ابن الفقيه التلوييني في عام أحد عشر من قرننا هذا الرابع عشر من الهجرة النبوية وتعصب على حكمه أهل الباطل عملا به وبقي الحق عاطلا، وبانيه لم يسلك فيه مسلك السلف، وبقي يدق على وقوفه حقا وباطلا العلف، بقوله على رؤوس الأشهاد حتى أغاث الله البلاد بالعامل إدريس بن الكوري الرئيس على رد أهل الفساد فجمع بسياسته نصره الله عملا بقول من ولاه وهو السلطان مولانا عبد العزيز بن سيدنا أمير المؤمنين مولانا الحسن أطل الله مدته في الملك السوي المرؤوسين عامتهم مع المتعصبين، قائلين نحن على الحق بشهادة الشهود المنتصبين، حتى اتفقوا وجعلوا القاضي سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمان بن سيدي عبد السلام هو الذي يكشف الحجاب عن الحكم المبهم الذي لا يخلو عن التهم والخطأ والوهم فلما اتصل رضي الله عنه بحجج الفريق الذين هم أولاد سيدي جعفر المستمسكين بحكم الطالب محمد والفريق الذين هم أولاد سيدي مبارك وابن عمهم بباي المستمسكين بحكم سيدي والذي مشاورا فيه العلماء كلهم جاء الحق وزهق الباطل الآية فحكم بتزييف حكم الطالب محمد عملا بما تعودته سلفه من اتباع الحق والطريقة الدينية وما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ونسخ نسخة من الحكم حتى ظهرت كشمس سماء صحو على القرى وعند ذلك انثنى الحاج محمد يقدم رجلا ويؤخر أخرى فصار يفحص على أعوانه ويبحث عن حظ أبيه و مرعاه فلم يجد مطابقا يثبت مدعاه حملني ذلك على أن قيدت عليها تقييدا سميته "كشف النقاب والمساوي على مخدر حكم البداوي" والله تعالى أسأل التوفيق والإرشاد إلى سلوك الرشد والسداد .

ومما تصدر به لفظ الحبس الذي هو الفقيه سيدي أحمد بن محمد ونصه: "أشهد واضع اسمه عقب تاريخه سيدي أحمد بن سيدي محمد الفقيه التلوليني"، وذكر الجنان وجميع ما حبسه، إلى أن قال: "حُبْسًا مُؤَبَّدًا ووقفًا مخلداً سرمدًا معقبا على أولاده سيدي محمد مبارك وسيدي جعفر وسيدي العباس وبَيَّاي"، إلى أن قال "عقبا بعد عقب وبطنا بعد بطن ولا مدخل للأبناء مع وجود الآباء ومن مات من الآباء فأبناءؤه بمنزلته يأخذون حظه....." إلخ .

فمات سيدي محمد مبارك وترك أولاده ثلاثة، ثم بَيَّاي وترك ولدا، ثم سيدي العباس ولم يترك ولدا، فأراد سيدي جعفر على يد ولده الحاج محمد ذي الداء العاضل الاستبداد بنصيب أخيه الذي لم يخلف ولدا، ويكون به فاضل، فسأل العلماء منهم سيدي والدي، وشيخنا العم فأجاباه أي المذكوران بأنه لا استبداد لأبيك وما له إلا نصيبه بين أولاد أخويه مستدلين بما نص عليه الونشريسي (8) في غير ما موضع من معياره من "أن الحبس المعقب إن مات من الحبس عليهم إنسان بغير ولد رجع نصيبه لجميع من في الحبس".

ونقل أيضا عن مالك أنه ألغى الشرط ولم يعمل في مسألة ابن المواز التي زاد فيها "ومن مات من غير ولد رجع نصيبه لإخوته"، وقال "يرجع لجميع من في الحبس من أولاد أخويه الميتين وأخيه الحي" (9). وكذا المفيد (10) وصاحب النوادر (11) و لم يجدا خلاف ذلك.

وبما في اللفظ السابع من مسائل الحبس للشيخ يحيى الخطاب (12) من نص العتبية والمجموعة ونصه: "ومن العتبية والمجموعة: ابن القاسم عن مالك: من حبس دارا على أربعة نفر من أولاده وشرط أن من مات من ولده فولده بمنزلته بل على نصابه من الحبس .

(8): الونشريسي أحمد بن يحيى التلمساني نزيل فاس مفتيها الفقيه العلامة النوازي العمدة المحصل حامل لواء المذهب، أخذ عن أبي الفضل العقباني وولده أبي سالم وحفيده محمد بن أحمد العقباني وابن مرزوق الكفيف وغيرهم، وعنه خلائق لا تحصى منهم ابنه عبد الواحد و بو زكريا السوسي ومحمد بن عيسى المغيلي وابن هارون المضغري وغيرهم، مؤلفاته كثيرة منها المعيار المغرب وعدة البروق و إيضاح المسالك و المنهج الفائق و غيرها ، توفي سنة 914 هـ .

المديوني ابن مريم سنة 1986م ص 53.

(9): الونشريسي أحمد بن يحيى سنة 1990م (357/7) .

(10):

(11): القيرواني ابن أبي زيد سنة 1999م (33/12).

(12): يحيى بن محمد بن محمد الخطاب العلامة الفقيه البارع المحصل خاتمة علماء الحجاز المالكيين أخذ عن والده وعمه بركات الخطاب وغيرهما، وعنه خلائق منهم أحمد بابا التمبكتي وأبو السعود القسطلاني وغيرهما، له تأليف نفيسة منها أجوبة الوقف الذي

فمات اثنان منهم وتركوا أولادا ولا ولد للأخوين، ثم مات أحد الباقيين ولا ولد له، فإن نصيبه يرجع على جميع ولد أخويه الميتين وأخيه الحي، ويؤثر فيه أهل الحاجة منهم دون الأغنياء ولا قسم فيها. وقال في كتاب ابن المواز: وكذلك إن شرط أن من مات منهم ولم يترك ولدا فنصيبه على إخوته، فمات اثنان منهم عن أولاد، ومات ثالث عن غير ولد، فإن نصيبه يرجع على الباقي من الولد وولد الولد بالاجتهاد، ويؤثر فيه الأحمق فالأحمق ولا يجري فيه قسم انتهى. ولفظ هاتين المسألتين من الألفاظ الواقعة كثيرا في كلام المحبسين وكثيرا ما يسأل عنها وبأن لك حكمها مما تقدم.

أما الأولى فحكمها صرح به مالك رضي الله عنه ولا إشكال فيها. وأما المسألة الثانية فلا يخفى ما فيها من الإشكال.... إلخ (13) كلامه رحمه الله. وشاهد المسألة المسألة الأولى من كلام الخطاب التي لا إشكال فيها بقوله انتهى. ولم يزل مع ذلك الحاج محمد في زخرفات قوله مع أعوانه في العقيدة الشيطانية وإخوانه. فارتفعت النازلة إلى سجلmaschine (14)، ووافق علماؤها جواب الشيخين (15)، ثم إلى أروان (16)، وأزواد (17) كذلك، ثم إلى فاس من ابن الخياط الشريف (18) والطالب العربي كذلك، ثم إلى الإمام

سماء صاحب المخطوط مسائل الحبس وإرشاد السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج ووصلة المبتدي في الفرائض وفتاوى وغيرها، توفي سنة 995 هـ.

التنبكي أحمد بابا سنة 2004م (342/2)، التنبكي أحمد بابا سنة 2002م ص 511. (13): الخطاب يحيى بن محمد سنة 2009م ص 188.

(14): سجلmaschine: من أعظم مدن المغرب الأقصى تقع في جنوبه الشرقي وهي حادثة بنيت سنة 140هـ، الحميري محمد بن عبد المنعم سنة 1975م ص 305.

(15): الشيخين يقصد بهما والده الشيخ محمد - فتحا - بن أحمد الحبيب البلبالي وعمه الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي.

(16): أروان مدينة مشهورة شمال مالي تبعد عن مدينة تنبكتو مسيرة عشرة أيام حوالي مائة وخمسين ميلا، وسط الرمال حيث لا نبات ولا شجر ولا زرع ولا نخل، دورها مبنية بالطين فقط، الوسيط في تراجم أديب شنيق ص 458.

(17): الأزواد صحراء شديدة الجفاف وعرة لا تسلك إلا بمشقة وهي مجال انتقال بين الصحراء الكبرى ومناطق السودان الغربي، محمد الصالح حوتية سنة 2007م (38/1).

(18): أحمد بن محمد بن عمر الزكاري الحسني الفاسي المعروف بابن الخياط الشريف العلامة الأصولي الفقيه أخذ عن جماعة منهم عبد الرحمن الشدادي ومحمد الحجري وابن الطائع وغيرهم وعنه خلائق منهم عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي وعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني وغيرهما، له تصانيف منها حاشية على شرح الخرشي لفرائض خليل ورسالة في القبض والسدل ورسالة في العقيدة وغيرها توفي بفاس سنة 1343هـ، ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر سنة 1996م (2941/8)

السلطان سيدنا ومولانا الحسن المتقدم فكتب إلى سيدي والدي بفصل ذلك والحكم بمشاورة أهل العلم كما هو عندي بخط أحد كتابه وخاتمه عليه.

فاقتفى الأثر قولاً وعملاً مستنداً بالنص المتقدم أيضاً، إلى أن راغ الحاج محمد وخطب عشواء أيضاً، وأكره أبناء عمه بأعوانه لضعفهم، وقلة ذات يدهم للحاكم المذكور، فحكم باستبداد العم إليه سيدي جعفر، وكشف الستر بذلك على أبناء عمه وخلع عنهم النعل، وتركهم بين المسلمين كالنعل، اقتص الله منه.

واستدل الحاكم في حكمه بما لم يكن عليه دليلاً، وخدره، ولم يعط منه نسخة، ولا شاور غيره، ولا اطلع عليه أحد، وصار يقره وحده المحكوم له.

إلى أن أطلع الله عليه سيدي محمد المذكور، وزينه، وصحح حكم سيدي والدي، كما صححه الأئمة أجمعون.

فتزييفه صحيح لما تقدم من الأدلة، ولما تقرر عند الأئمة: أن الحكم بغير مشورة فاسد مردود، بقول أبي المودة (19) وَبُذِلَ حُكْمُ جَائِرٍ أَوْ جَاهِلٍ لَمْ يُشَاوَرَ (20) قال الشيخ عبد الباقي (21) إثر لم يشاور ولو وافق الصواب (22).

ولنهول إلى تتبع كلامه في حكمه:

أما قوله: فلما أرى الإمام الأعظم إلخ .

فقد حذف مفعول أرى في حكمه وأظهره بقوله أن الإمام أمره بالحكم بينهم فمعاذ الله عن صدور ذلك من الأئمة، لأن أفعال العقلاء تصان عن العبث، بل مقوله زور شنشة أعرفها من أزم.

ولو قدر ذلك لما مضى حكمه لعدم استيفاء الموجب، ولسبقية حكم سيدي والدي بأمر الإمام وإن حكم القاضي قبل وصول عزله فيمضي لما نقله عن التبصرة الفرحونية الشيخ عبد الباقي (23) لدى

(19): أبو المودة ضياء الدين خليل بن إسحاق المالكي صاحب المختصر المشهور عند المالكية المتوفي سنة 767هـ أو 776هـ ابن فرحون إبراهيم بن علي سنة 2005م (313/1)، التنكيي أحمد بابا سنة 2004م (183/1).

(20): خليل بن إسحاق المالكي سنة 2005م ص 246 .

(21): عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني العلامة الفقيه النظار، أخذ عن علي الأجهوري و البرهان اللقاني وغيرهما، و عنه جماعة منهم ابنه محمد و محمد الصفار القيرواني وغيرهما، له مؤلفات تشد إليها الرحال منها شرحه البديع على مختصر خليل وغيره توفي سنة 1099هـ، مخلوف محمد بن محمد دون تاريخ ص 304.

(22): الزرقاني عبد الباقي بن يوسف دون تاريخ (144/7) .

قوله خليل في القضاء " لا هو بموت الأمير ولو الخليفة "(24) إلخ ؛ وذلك فضلا عن كون كلام المدعي زورا .

وأما قوله: تبين لي في النازلة ولاح لي من شرط الحبس المذكور أن سيدي جعفر أولى وأحق بحظ أخيه دون أولاد أخيه لقوله في الحبس كما بمحوله ولا مدخل للأبناء مع وجود الآباء، ولقوله أيضا عقبا بعد عقب وبطنا بعد بطن، ولا شك أن العم سمي أبا كما ذكر المفسرون على قوله تعالى: (و إذ قال إبراهيم لأبيه آزر) (25) فسماه الله الكريم أبا؛ إلى أن قال وليس مع هذا لأولاد الأخ شيء مع العم الباقي.

أقول واعجبا له مع أن العلماء قالوا في قوله ولا مدخل للأبناء مع وجود الآباء أنها تفيد الترتيب كشم كما هو واضح، وقالوا في عقبا بعد عقب وبطنا بعد بطن أنهما يفيدان التأييد والاستمرار فقط على ما وصفه الواقف ذكر ذلك الشيخ يحي ونصه: وأما قوله بطنا بعد بطن وعقبا بعد عقب أنه أراد به التنصيص على تأييد استمرار الوقف وتأييده على الوجه الذي ذكره في جميع البطون والأعقاب (26) إلخ ولعمري أن هذا بهتان قال الشاعر :

أطوف على سعدى و سعدى بمنزل

وقال تعالى (يمرون عليها وهم عنها معرضون) (27)

و كم من عائب قولاً صحيحاً و آفته من الفهم السقيم

نعم قد نكص على عقبه الحاكم إلى ما اعتاد سابقا وظن أن الزمان الآن بالسالف لاحقا كم صدرت بادية العورة منه أقاويل فسترنها بالإغضاء وحسن التأويل.

وقوله: ولا شك أن العم سمي أبا وهو في الحقيقة ليس أبا إلخ.

لم نقف على قوله ذلك في البيضاوي(28)، وغيره من المفسرين الذين عندي، وإن صح قوله في بعضهم، وذلك في شرح ابن سعيد، عبر به بقليل إن أباه غير آزر.

(23) : قال الشيخ عبد الباقي الزرقاني " فإن حكم بشيء قبل بلوغ عزله نفذ كما في التبصرة لابن فرحون على ظاهر المذهب لضرورة الناس لذلك " ، الزرقاني عبد الباقي بن يوسف دون تايخ (128/7) .

(24) : خليل بن إسحاق المالكي سنة 2005م ص 218 .

(25) : سورة الأنعام الآية 74 .

(26) : الخطاب يحي بن محمد سنة 2009م ص 180 .

(27) : سورة يوسف الآية 105 .

وقوله: في الحقيقة ليس أبا مضاد لأهل الحقيقة إلخ، وما ضاد كلامهم لا اعتبار به وإذا كان بمنزلة الأب، فلا شيء من نصيب سيدي مبارك لأولاده حتى يموت عمهم، وهكذا ولم يقل به أحد أي بأن العم أب حقيقي.

مع أنه نقل عن أقرب المسالك ما يناقضه من أن من مات من الآباء فأبناؤه بمنزلته وإذا كان العم أبا فلا شيء لهم إلا بموته، ولكن قال تعالى: (اتخذوا آيات الله هزواً وغرهم الحياة الدنيا) (29) لأن العم ليس كالأب حتى عند البرابر وأهل زنادة والعرب فكفى بذلك استهزاء به يدل على هفواته.

وأما قوله: بدليل قوله وهم بقية الإخوة الأربعة فينبغي أن يختصوا به دون غيرهم وهذا إلخ، فأقول: أن هذه سرقة وهي من كلام الشيخ يحيى على ما نص عليه في الموازية الزائد فيها ومن مات من غير ولد رجع نصيبه لإخوته ومع ذلك فيها أن العم لا اختصاص له.

واستشكل ذلك الشيخ يحيى وقال: فينبغي أن يختصوا به إلخ وما تقدم من قوله أما المسألة الأولى فلا إشكال فيها إلخ كاف في صحة ذلك وكذب الطالب محمد مع أن ألفاظ حبس ابن الفقيه عارية عن زيادة الموازية

أعد نظرا يا عبد شمس لعلماء * أضاءت لك النار الحمار المقيدا (30)

وأما قوله: وأما كلام العتبية الذي تشدق به الغير وشد يده عليه الخطاب قال بأثره: هذا من التحريف والعياذ بالله قال تعالى: (يحرفون الكلم عن مواضعه....) إلخ الآية (31) ويكذبه ما سبق وليس الخبر كالعيان فإننا لله وإننا إليه راجعون على ذهاب الحق وأهله.

وأما قوله نقلا عن أقرب المسالك للدردير (32) ما نصه: وأما لو قال وقف على أولادي وأولادهم سواء قال الطبقة العليا تحجب الطبقة السفلى أم لا فإن من مات من الطبقة العليا انتقل نصيبه لولده وإلا

(28) : عبد الله بن عمر بن محمد ناصر الدين البيضاوي إمام المتكلمين والنظار ولي قضاء شيراز فجمدت سيرته ألف التأليف النافعة منها الطوابع في الكلام والمنهاج في الأصول و التفسير اختصر به كشاف الزمخشري و غيرها توفي سنة 691 هـ ، السبكي عبد الوهاب بن علي دون تاريخ (157/8).

(29) : سورة المجاثية الآية 35 .

(30) : البيت للفرزدق، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر سنة 1996م (693/2).

(31) : سورة المائدة الآية 13 .

(32) : الدردير أحمد بن محمد العدوي شيخ المالكية صاحب المصنفات المعتمدة عند المتأخرين شرح خليل وأقرب المسالك وشرحه تفقه بعلي العدوي وغيره وعنه الدسوقي وغيره توفي سنة 1201هـ، مخلوف محمد بن محمد دون تاريخ ص 359.

فلإخوته (33)، أقول أن النص صحيح وليست مسألتنا محله لأن مسألتنا بقي فيها العم وأبناء أخويه الذين ماتا، ومسألة الدردير بقي فيها إخوة الميت عن غير ولد ولم يمت منهم أحد ولا شك أن لا شيء لأبنائهم لأنهم محبوبون بهم لأن الدردير لم يقع منه كلام على مسألتنا ولم يفهم منه حتى يكون دليلاً. وإذا لم يمت أخوا سيدي جعفر قبل سيدي العباس فنصيبه يكون بينهما وبين سيدي جعفر ولا شيء لجميع الأبناء لأنهم محبوبون فيكون كلام الدردير في ذلك وكذلك غيره من الأئمة ولأن كلامه مقيد بما إذا لم يمت أحد الإخوة ويترك أولاده والمقيد عند الأئمة لا تأثير له بدون قيده، واعجبا له كيف يتجاسر على حمل الألفاظ على ما ليس مرادا بها في عرف الاستعمال ولا في نص الاستدلال من غير نقل يساعد المقال، إذ لكل مقام مقال، ولكل خطة رجال، ولا قوة في السيف إلا في أيدي الأبطال، والعامل من غير الستة أخسر من البطال، وليس كل سحاب مطال، والحق الذي يأخذه من اتصف بالإنصاف، ولم يزعج إلى الزيف والانحراف، إذ نسج الفقيه المغرور على غير منوال وحقه أن يطرح في زوايا الإهمال ولو لا خشية تطلع العمر عليه مصححا كل لاكمه، لما فهمت في ذلك له، لأن كل متعسف ينكر المحسوسات، والجبد عن طريق التحقيق إلى المقالات الواهيات، فهذا مطرح لا يرجع عليه، ولا يلتفت بوجه من الوجوه إليه، لاستشهاده بمسائل لا تناسب محل النزاع، ولا فائدة لها إلا تسويد الرقاع، إذ من شأن العلماء الأبرار وضع الدواء في محل الداء ولذلك صار لحمهم سما وغيرهم كالفقيه المتعمد للباطل، فقد قال الجنتوري (34) هم أحق بالإنكار عليهم، وقال فيهم من جلت قدرته (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) الآية (35) نسأل الله السلامة بمنه وما حمله على الإقدام على المهالك والتعرض للاعتراض من غير معرفة بالقواعد والمداكر إلا عدم معرفة من تجب معرفته ولم يعظم مخافة منه حرمة ومن يعظم حرمة الله فهو خير له عند ربه.

(33) : الدردير أحمد بن محمد سنة 2008م (537/4)

(34) : الجنتوري عبد الرحمان بن إبراهيم أبو زيد الجنتوري الإمام الفقيه العلامة الجامع بين المنقول والمقول انتهت إليه رئاسة الملكية بالديار التونسية، أخذ عن والده و ابن عمه الشيخ عبد العالي الجنتوري و عن الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني وغيرهم، و عنه جماعة منهم ولديه خالد و عبد الوهاب و الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني وغيرهم، حج فلقني الأكابر فأجاز و استجاز، له تأليف رائقة منها شرحه على مختصر خليل و نظم معونة الغريم في بعض أحكام قضاء المليم و شرحها و رسالة المغارم و أجوبة جمعها تلميذه المسعدي توفي سنة 1160هـ.

التنيلاني عبد الرحمان بن عمر سنة 2023م ص178.

(35) : سورة الجن الآية 15.

فبان بهذا الاختصار والنصوص وبناء كل قولة على أصلها بالبناء المرصوص ترغيم أنف الحاكم والمحكوم له وأعوانه للصوص لظهور الحق بعد غيابه على لسان العموم والخصوص وللاختصار مزية على غيره من الإطناب والإسهاب وفي مثل هذا الجهر بالسوء لا يعاب (لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم) الآية (36)، و حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكتب مستغفرا من ذنبه مستشفعا من كسبه أواخر ذي الحجة الحرام من عام أربعة عشر و ثلاثمائة و ألف عبيد ربه محمد بن محمد بن أحمد الحبيب البلبالي لطف الله به

الخاتمة

عرفت منطقة توات حركة علمية قوية كان عنصر النقاش والحوار والجدل العلمي الرصين أحد أهم دعائمها، وقد أنتج لنا ثروة علمية منها هذه الرسالة التي تم بحمد الله إخراجها في حلة قشبية مع التعريف براقمها فتحقيقها يعتبر إحدى اللبئات التي تضاف إلى المخرجات العلمية لعلماء لمنطقة، وعليه نخلص إلى أهم النتائج:

- أولاً: لا تزال الخزائن التواتية حُبلى بالمخطوطات العلمية التي تحتاج إلى إخراج وتحقيق.
- ثانياً: كثير من تراجم علماء توات في فترة الاستعمار تفتقر إلى إمطة اللثام عنها، ودراسة مواقفها من المستعمر وتوجيه دورها الاجتماعي والسياسي والثقافي.
- ثالثاً: فتح آفاق البحث أمام مواضيع جديدة بالاهتمام بالنقاش والحوار والجدل الفقهي في الجانب العملي من خلال أمثال هذه المصنفات.
- رابعاً: البحث في المراسلات الفقهية بين علماء المنطقة وغيرها من المناطق فقد احتفت لنا كتب النوازل الكثير منها البحث في أسبابها ومضامينها وتحليلها.

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر سنة 1996م تحاف المطالع وسل النصال ضمن موسوعة أعلام المغرب تنسيق محمد حجي دار الغرب الإسلامي بيروت

- ابن فرحون إبراهيم بن علي سنة 2005م الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب تحقيق محمد الأحمدي مكتبة دار التراث القاهرة مصر
- أحمد بن محمد بن حسان سنة 2010م الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبالية الركانية دار هومة الجزائر
- التبكي أحمد بابا سنة 2004م نيل الانتهاج بتطريز الديباج تحقيق علي عمر دمكتبة الثقافة الدينية
- التبكي أحمد بابا سنة 2002م كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج تحقيق عبد الله الكندري دار ابن حزم بيروت
- التيلاني عبد الرحمان بن عمر سنة 2023م فهرس الشيوخ تحقيق عبد الرحمن بعثمان نورحوران للدراسات والنشر والتراث دمشق
- الخطاب يحيى بن محمد سنة 2009م أحكام الوقف تحقيق عبد القادر باجي دار ابن حزم بيروت
- الحميري محمد بن عبد المنعم سنة 1975م الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس مكتبة لبنان بيروت
- خليل بن إسحاق سنة 2005م المختصر الفقهي تحقيق أحمد جاد دار الحديث القاهرة مصر .
- الدردير أحمد بن محمد سنة 2008م الشرح الصغير على أقرب المسالك تحقيق السيد علي الهاشمي دار الفضيلة القاهرة مصر
- الزرقاني عبد الباقي بن يوسف دون تاريخ شرح مختصر خليل دار الفكر بيروت
- السبكي عبد الوهاب بن علي دون تاريخ طبقات الشافعية الكبرى تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو دار الفكر بيروت
- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر سنة 1996م شرح شواهد المغني تحقيق أحمد ظافر كوجان لجنة التراث العربي بيروت
- الصديق حاج أحمد سنة 2003م التاريخ الثقافي لإقليم توات مديرية الثقافة لولاية أدرار أدرار الجزائر
- القيرواني ابن أبي زيد سنة 1999م النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات تحقيق أحمد الخطابي ومحمد عبد العزيز الدباغ دار الغرب الإسلامي

- مبدوي محمد فتحا بن محمد سنة 2021 التراجم الذهبية لأعلام الأسرة البلبالية دار صبحي
غرداية الجزائر
- محمد الصالح حوتية سنة 2007م توات و الأزواد دار الكتاب العربي الجزائر
- مخلوف محمد محمد بدون تاريخ شجرة النور الزكية دار الفكر بيروت
- المديوني ابن مريم محمد بن محمد سنة 1986م البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان تحقيق
طالب عبد الرحمن ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر
- الونشريسي أحمد بن يحيى سنة 1990م المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا
والأندلس والمغرب تحقيق محمد حجي دار الغرب الإسلامي بيروت